مؤسسة مهجة القدس
MUHJAT ALQUDS FOUNDATION

من فكر السجون وأدبه
الإصدار الثالث والعشرون

حكايتي مع المخيّم

"نموذج مقاومة"

علي سليمان السعدي
سجن ريمون

حكايتي مع المخيم

نموذج مقاومـــــة

الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (23)

حكايتي مع المخيم
نموذج مقاومة

المؤلف: الأسير المجاهد/ علي سليمان السعدي

الناشر: مؤسسة مهجة القدس
غزة - فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: رمضان 1444هـ
مارس - آذار 2023م

رقم الإيداع: 1984 / 2023

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة
عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي
ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ
بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾

صدق الله العظيم

[التوبة: ١١١]

إهداء

- **إلـى أرواح الشـهداء رفقـاء الـدرب الذيـن سـبقونا إلـى جنـات الخلـد**

محمـود طوالبـة، محمـود الحلـوة، طـه الزبيـدي، أبـو جنـدل وزيـاد العامـر

- **إلى روح الأم الفاضلة**

(أم العبد الزبيدي)

- **وللأم مريم**

(أم مروان الوشاحي)

- **إلى روح الصحفية**

(شيرين أبو عاقلة)

التي ذهبت ضحية العدوان على

المخيم وهي تقبل ثراه حبًا له

شكر وعرفان

أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتيب إلى النور وخاصة الزوجة والمربية الصابرة

الحاجة أم محمد

وبناتي

تسنيم وميساء ومنى وأمان

وابني

محمد (أبو علي)

الذين شجعوني على هذا التوثيق الذي سيستفيد منه الكثيرون وخاصة الجيل الجديد العزيز على قلبي.

كما أشكر أخي الأسير القائد/ محمد سعيد إغبارية

الذي قام بتشجيعي وإرشادي إلى هذا التوثيق.

مقدمة

«اللهـم اشرح لي صـدري ويـسر لي أمـري واحلـل عقـدة مـن لسـاني يفقهـوا قـولي».

بعد الاستعانة بالله العلي القدير أقدّم هذه النبذة التاريخية عن مخيم جنين ليستأنس بها ويستفيد منها من أراد أن يتخلص من الاحتلال، وأن يوجع الاحتلال ليقصَّر عمره، والاعتماد على الأهالي أولًا ومن ثم على الشباب الناشئ والمتحمس، وصقل جيل جديد ليبادر في العمل المقاوم، وهذا لا يكفي بل يقع على عاتق أهل الحلِّ والعقد[1] أيضًا أن يكون لهم جند ورجال للاعتماد عليهم وأن لا يكونوا عاجزين؛ لأنّ العجز يؤدي إلى الهرم، وبالتالي من السهل استباحة المخيم أو القرية أو المدينة، يقول ابن خلدون: «المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فإنَّ انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رئموا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزًا عن المقاومة والمطالبة».

إنَّ من يكن عاجزًا عن المدافعة عن مجتمعه وأهله يكن عاجزًا عن المقاومة والمطالبة بالحقوق، وهذا ما حصل مع بني إسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام إلى ملك الشام، وإنَّ الله كتب لهم ملكًا، فعجزوا عن ذلك، وقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ

(1) أهل الحل والعقد: هم أهل الشأن من الأمراء والعلماء والقادة والساسة ووجوه الناس.

﴿يَخْرُجُواْ﴾ [المائدة: 22]، وكان لسان حالهم يقول يا موسى اجعل ربك أن يضربهم، ويقضي عليهم نيابة عنا فرغم أن سيدنا موسى عليه السلام ظهرت معجزاته، وسهل ربنا الطريق لهم، قالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن أهالي مخيم جنين قالوا: اذهبوا يا مقاومون واضربوا العدو ونحن معكم ولن يخذلنا الله.

وهذا حال بعض أولي الأمر الذين نهجوا نهج بني «إسرائيل» والذين يعتقدون أنَّهم محافظون على إمكانيات شعبهم، فلا هم يقاومون ولا هم سمحوا لمن يقاوم عنهم حيث إنَّهم يمنعونهم ويكونون لهم بالمرصاد ويسجنونهم ويعذبونهم مع أنّ هناك رجالًا أشداء داخل المجتمع على استعداد للمقاومة نيابة عنهم، ولكن للأسف من يكن مهزومًا من الداخل لا يمكن أن يحقق النصر حتى لو كان بين يديه، فمصير هؤلاء _الذين يدّعون أنّهم أولي الأمر_ كمصير بنى إسرائيل يضربون في التيه، ليلاقوا مصيرهم ومصير الجيل الذين خرجوا من قبضة الذلّ والقهر والقوة.

الأسير الحاج/ علي سليمان السعدي (الصفوري)
سجن ريمون

تمهيد

النكبة أولًا:

كان الشعب الفلسطيني يعيش بأمن وأمان، وجميع فئات الشعب تعمل بإخلاص وجد فمنهم الحداد، والنجار والمزارع والمعلم... إلخ.

كانت فلسطين هي البلد الذي يمتلك أهلها قدرات أكثر من أي شعب مجاور له، ولأهمية فلسطين الجغرافية والتاريخية طمع بها الاستعمار وخطط للاستيلاء عليها رويدًا رويدًا، فكان طرد الشعب الفلسطيني بالقوة عام 1948م، فتشردوا، فمنهم من تشتت خارج فلسطين، ومنهم من بقي في بعض المناطق بالداخل المحتل، ومنهم من لجأ إلى الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولكون قصتي تتمحور حول مخيم جنين فإنّ معظم أهالي منطقة حيفا والناصرة وبيسان وزرعين لجؤوا إلى جنين، وفي البداية تم وضع الأهالي في منطقة اسمها مثلث الشهداء (وهذا الاسم مثلث الشهداء تم نسبة لشهداء الجيش العراقي الذين استشهدوا في جنين)، وأطلق على اسم المخيم مخيم جنزور، ولم يمكثوا كثيرًا في تلك المنطقة حيث تم ترحيلهم إلى مخيم جنين.

إنَّ المخيم مساحته تقارب كيلو مترًا مربعًا وكان عدد سكانه في تلك الفترة لا يتجاوز 8000 نسمة، وبدأ الأهالي بالاستئناس مع بعضهم بعضًا،

خاصة أنّه تجمعهم قواسم مشتركة كثيرة حيث إنَّهم كانوا يلتقون يوميًا مع بعضهم البعض، وذلك من أجل التزود بالماء إذ إنَّ الماء كان بواسطة حنفيات للجميع عدا الحمامات العامة، وعاشوا بمحبة وتعاون على أمل الرجوع إلى بلدهم كما تم وعدهم.

النكبة ثانيًا:

حصلت حرب يونيو (حزيران) 1967م حيث إنّ الاحتلال تقدم إلى مدينة جنين من شارع حيفا ودخلها، وعلى مرأى الأهالي احتلت المقاطعة التي كان يتواجد بها الجيش الأردني، فترك الأهالي المخيم وتمركزوا في القرى المجاورة مثل برقين وقباطية حيث لاقوا الترحاب بهم، وبقوا إلى أن انتهت الحرب التي لم تدم أكثر من أسبوع ورجع الأهالي إلى بيوتهم، وبقوا على هذا الحال يعيشون على ما يحصلونه من أعمالهم على أمل الرجوع إلى أراضيهم في فلسطين التي تم تهجيرهم منها في العام 1948م.

صعود الوعي الوطني:

في سنة 1970م توفي الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ولكون الأهالي يرون فيه رجلًا قوميًا ساروا في جنازة رمزية له حيث حملوا تابوتًا وعليه صورة جمال عبد الناصر، وطافت المسيرة في أنحاء المدينة واستقرت المسيرة في مدرسة الوكالة في المخيم حيث كانت الهتافات والتكبيرات داخل المدرسة.

بدايات تشكل المقاومة في المخيم:

فمنذ هذه اللحظة بدأ الوعي الوطني يتسلل إلى الشباب الناشئ تدريجيًا، ففي سنة 1974م شُرع في انتخابات للبلدية في جنين ففاز الشيخ أحمد كمال السعدي حيث إنه من أقارب الشيخ فرحان السعدي الذي قاد ثورة 1936م وقارع الاحتلال وشكّل المجموعات وأصبح إرثًا تتناقله الأجيال من جيل إلى جيل، واعتبر الشيخ فرحان رغم كبر سنه النموذج الذي يحتذى به حيث إنه أصبح رمزًا للمقاومة عند جميع الأهالي في المخيم خاصة أنّ أحفاده ما زالوا يرفعون راية المقاومة ويحافظون على إرثه؛ لأنّه شكّل أسطورة فلسطينية لجميع أبناء الشعب الفلسطيني، مما أرقّ الاحتلال.

فمثلًا في إحدى السنوات وبداية العمل المقاوم من الجيل الجديد في المخيم لم تستطع قوات الاحتلال الصهيوني السيطرة على هؤلاء الشباب، فكان الجيش كلما أراد أن يدخل المخيم رشقوه بوابل من الرصاص، فلجأت المخابرات إلى استدعائي؛ لأني ابن المخيم ويرى ضابط المخابرات أن لي تأثيرًا عليهم فدار نقاش بيني وبينه وقال: «يجب على شباب المخيم أنّ لا يطلقوا النار على الجيش». فكان جوابي: «أنتم ماذا تريدون عندما تدخلون المخيم؟ لا يوجد لكم شيء عندهم، وطالما تدخلون المخيم فأنتم غير مرحب بكم». فقال: «إنكم إرهابيون، عندما دخلت على ديوان آل السعدي رأيت صورة الشيخ فرحان وصورة لك موجودة على الجدار، فعندما يرى الأولاد هذه الصور من الطبيعي سيكونون أمثالك إرهابيين».

فحتى صورة الشيخ فرحان يحسب العدو لها ألف حساب، فما بالكم عندما يكون رئيس البلدية من أقارب الشيخ فرحان السعدي؟!

ولأن الاحتلال رأى في صورة الشيخ أحمد شخصية الشيخ فرحان خاصة أنه يناصر المستضعفين من أهالي المدينة والمخيم بالذات؛ قام الاحتلال بعزله من منصبه وعينوا شخصية أخرى، وهذه الشخصية بنظر الاحتلال معتدلة، وعندما تأكد الاحتلال أنه (الشخصية الجديدة) يخدم المدينة والمخيم قاموا بعزله أيضًا، ونُصب بدلًا منه شخصية موالية للاحتلال، وعلى أثر ذلك قام الشباب بالتحريض لعمل مظاهرات في المخيم والنزول إلى المدينة، وذلك كنوع من الاحتجاج على ما فعله الاحتلال، وعلى أثر المواجهات ارتقت إلى العلا الشهيدة منتهى عوض الحوراني بتاريخ 11/ 11/ 1974م أثناء المواجهات، وفي نفس الفترة حصل نفس الأمر في نابلس وارتقت الشهيدة لينا حسن النابلسي أيضًا بتاريخ 16/ 05/ 1976م.

على أثر ذلك بدأ يتبلور لدى الشباب فكرة العمل السري كتشكيل خلايا، وبدأت الفصائل (فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، القيادة العامة) بكتابة المنشورات وتعليق الأعلام والتحريض سواء بالكتابة على الجدران من النشر خلال الأوراق، وبدأت الملاحقة للذين يكتبون هذه المنشورات، وسُجن الكثير من أعضاء الخلايا، وبقي هذا الحال لفترة طويلة خاصة في المناسبات الوطنية مثل يوم الأرض وذكرى الشهداء.. الخ.

كَبُر الأولاد وأصبحوا شبابًا، وبدأت تربط الأسر في المخيم العلاقات المتينة حيث إنَّ معظم العائلات صاهرت بعضها بعضًا، مما أدى إلى تقوية العلاقات الأسرية في المخيم، فمثلًا آل السعدي تصاهروا مع آل الشلبي، وآل السعدي مع آل عويس، وهكذا بدأت العلاقات في المخيم كأنها أسرة واحدة همهم واحد ومصيرهم واحد.

تصاعد عمل المقاومة:

لابد من الحديث عن الأعمال الفدائية التي كانت تحدث لشحذ همم الناس والتحريض من أجل الإضرابات، فمثلًا كان موقف حافلات شركة «إيجد» الصهيونية عندنا قرب المستشفى بين المخيم والمدينة بمحاذاة المقاطعة، فقامت مجموعة من الشباب وهم: نصر جرار وسامي جرار (حنيف) ومحمد الأديب بضرب باصات «إيجد» بالزجاجات الحارقة، ورد الجيش مما أدى إلى استشهاد سامي حنيف واعتقال نصر ومحمد في 18/ 04/ 1978م.

وبقي هذا الحال إلى أن نُفذت عملية طعن لجنود صهاينة كانوا يسيرون في أحد شوارع مدينة جنين؛ قام بها الشاب فتحي عيسى قانوح مما أدى إلى استشهاده فورًا، وتم اعتقال من كان معه في تاريخ 24/ 03/ 1982م.

المقاومة والانتفاضة الأولى:

عندما بدأت انتفاضة الحجارة (1987م) نقلت المخيم نقلة وطنية قوية حيث إنّ الأهالي تكاتفوا مع بعضهم بعضًا، وفتحوا بيوتهم بعضًا البعض والكل يساند الآخر، فبقيت بذرة المقاومة تنمو وتترعرع في مهدها حيث التحام الأهالي مع المنتفضين ومؤازرتهم لهم.

وبقي الحال إلى أن بدأت انتفاضة الأقصى في العام 2000م التيس حولت الأهالي تحويلًا كبيرًا لمساندة أي شخص يؤذي الاحتلال.

انتفاضة الأقصى

في بداية هـذه الانتفاضـة بـدأ الأهـالي بالتذمر تعاطفًا مع الأهـل في قطاع غـزة وفي بعـض المناطـق بالضفـة الغربيـة لمـا يلاقونـه مـن قصـف واغتيـالات واعتقـالات سياسـية لمجاهديـن مثـل: إيـاد الحـردان وجمـال منصـور وعبـاس السـيد... إلـخ، فهـذه الاعتقـالات كانـت تزعـج الأهـالي خاصـة أنّ هـذه الشـخصيات مشـهورة، وهنـاك الكثـير مـن الشـخصيات منهـم مـن استشـهد ومنهـم مـن تـم تسـليمه للاحتـلال. ومـع تزامـن القصـف مـن قبـل الاحتـلال أثـار سـخط الأهـالي وبـدأوا العمـل الجـدي.

بدأت المسيرات الجماهيرية تذهب إلى حاجز الجلمة وتقوم برشق العدو عـلى الحاجـز بالحجـارة، ومعظـم المشـاركين في المسـيرات يعـودون بإصابـات إمـا بالأيـدي أو بالأرجـل، وفي إحـدى المسـيرات حـوصرت قـوة مـن الجيـش الصهيـوني فضربـت قذيفـة ممـا أدى إلى سـقوط خمسـة شـهداء ممزقين إلى أشـلاء.

فهنـا بـدأ شـباب المخيـم بالتفكـير بالانتقـام لهـؤلاء الشـهداء، وقُتـل مسـتوطن في المنطقـة الصناعيـة في جنـين حيـث مـن قـام بالعمليـة هـو ابـن المخيـم الشـاب، عـلاء الصبـاغ، وبـدأ العـدو يتوعـد عـلاء ومـن كان معـه ممـا دفعنـا للتخطيـط لعمليـة أخـرى داخـل فلسـطين 1948م، ونفـذ العمليـة مجـدي الطيـب وعـلي صبـح، وتـم كشـفهما وأصبحـا مطارديـن للعـدو، والعمليـة نفـذت في مثلـث أم الفحـم وقُتـل فيهـا مسـتوطن وأصيـب اثنـان.

فبعد ما علمنا أن الشابين أصبحا مطلوبين كان لابد من أن يكونا داخل المخيم، وقد يتساءل البعض لماذا المخيم؟ وذلك لسبب بسيط أن المخيم محصن ولا سلطة عليه من قبل الأجهزة الأمنية والأهالي يحمونهما.

فعندما أصبح الشابان مطاردين كان لابد من وجود فرقة تسهر ليلًا مكونة من عدد لا بأس به من الشباب حيث كان هناك ثلاث فرق تدور في أرجاء المدينة وحولها لمتابعة القوات الخاصة بحالة دخولهم إلى المخيم، وكانت المجموعات تتناوب بالليل والنهار.

الفصائل تقاوم:

بدأ العمل المقاوم الجاد من جميع فصائل المقاومة، وحيزت بعض الأسلحة سواء شخصية أو تنظيمية، وبدأ الشباب بعمل كمائن للمستوطنين على الخط الالتفافي الواصل للمستوطنات في منطقة جنين، فقُتل مستوطنان وأصيب البعض واستشهد البطل أسامة تركمان (نغنغية) في أحد الاشتباكات بتاريخ 04/ 03/ 2001م، وبعد الاشتباك مع العدو كان المقاومون يعودون إلى المخيم، وهنا لابد من الإشارة أنه كان من ضمن المطاردين إخوة من القرى كانوا يأتون إلى المخيم حيث لا تستطيع الأجهزة الأمنية الدخول إلى المخيم واعتقالهم فيبقون في المخيم، وكان تَنقُل الإخوة المطاردين بالخفية عن الأجهزة الأمنية خاصة عند الذهاب لمهمة جهادية.

قام أهالي مخيم جنين باحتضان هؤلاء الإخوة، وبدأ المخيم يعتبر قاعدة عسكرية حيث بدأت المجموعات تعمل وتوجع العدو، وهنا بدأت التنظيمات تمد هؤلاء الإخوة بالمال ومن ثم شراء الأسلحة.

تلاحم الأهالي مع المقاومة:

العلاقة التي تربط أبناء المخيم علاقة قوية، فكان معظم الأهالي يعملون كخلية النحل وانعكس هذا على الإخوة الذين يعملون بالأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية حيث كان لهم دور كبير في مساعدة المقاومة، فكلما دخل العدو من أي جهة باتجاه المدينة والمخيم تبلغ الأجهزة الأمنية بالانسحاب عن الحواجز (المخاصيم)، فمثلًا علمنا أنّ الاحتلال طلب من الأجهزة الأمنية إخلاء الحاجز الموجود على شارع حيفا؛ لأنه يوجد نشاط أمني للاحتلال، فوصلتنا هذه المعلومة، وأدركنا أن الموقع الخطير الذين يودون اقتحامه هو وادي برقين لاعتقال أو اغتيال المجاهد نصر جرار؛ لأننا على علم أن أحد الأجهزة الأمنية حقق مع أحد الاستشهاديين من منطقة نابلس واعترف لهم أنه قادم إلى المجاهد نصر جرار، فعندما حصلنا على هذه المعلومات جهز المقاومون أنفسهم، وتمركزوا حول الأشجار المحيطة بيت المجاهد نصر جرار، وعندما دخلت القوة الخاصة باغتناها واشتبكنا معهم وسقط جرحى لدى الاحتلال، وتركوا خلفهم جعبًا وبعضًا من الذخائر والأدوية، وهذا تم توثيقه أيضًا، ونجا المجاهد نصر جرار من هذا الحادث.

عندما أحضرنا الجعب والذخائر إلى داخل المخيم كانت الفرحة لا توصف عند الأهالي، وهذا زاد من الثقة بين المقاومين والأهالي، ولاحظنا أن الإخوة الذين يعملون في الأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية كانوا يسارعون في إعطائنا المعلومات مع أن منهم من يعملون مع المقاومة.

ولابد من ذكر كيف بدأ العمل كفريق واحد داخل المخيم، عندما استشهد المجاهد أسامة نغنغية الذي كان يعمل في أحد الأجهزة الأمنية وحصل خلاف على تبنى الشهيد بين فتح والجهاد، فتم حسم الأمر أنه ابن سرايا القدس (الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) بعدما أظهرنا وصيته التي تقول: «لا أريد أن يحمل نعشي أي رجل من أجهزة السلطة وأن لا تضعوا جثتي في الثلاجة»، وتم العمل بوصيته حيث طردتُ أحد الضباط أثناء المسيرة، وهذا أيضًا موثق صوتًا وصورة (السبب في ذلك عندما كان الشهيد أسامة عائدًا من إحدى المهام الجهادية وعندما تجاوز الحاجز التابع للسلطة أطلقوا عليه النار).

وهنا أدركنا أنه يجب أن لا يحصل أي خلاف على تبني أي شهيد، فتم الإيعاز لجميع المقاومين عمل وصية لكل مقاوم سواءً كان ذلك مقطع فيديو أو صورًا، وهذا من أجل نزع أي خلاف يحصل في المستقبل وتم الاتفاق على ذلك، وعملنا كفريق واحد وتحت مسمى المقاومة للجميع.

فمثلًا نحن نعرف أنّ حركة فتح إمكانياتها ضئيلة، وكانت الإمكانيات جميعها من حركة الجهاد الإسلامي وذلك معروف لدى جميع أبناء المخيم والأهالي وموثق أيضًا، وهناك شهادات.

العشاء الأخير:

بعد دحر الاحتلال والقوات الخاصة من وادي برقين ونجاة المجاهد نصر جرار كان لابد من إكرام جميع من شارك في هذا الاشتباك والمطاردين

حيث جهزت لهم وليمة غداء وتم حضور جميع الشباب عندي في البيت، ولحساسية الأمر والوضع الأمني وخوفًا من القصف كانت الوليمة جاهزة، وحضروا بوقت لا يتجاوز ربع ساعة وخرجنا من المنزل، وتم توثيق هذا الغداء، وبعدما علم الاحتلال بذلك أطلق على هذا التجمع بالعشاء الأخير، يعني كانوا ينوون التخلص منا فيما بعد، ولكن إرادة الله كانت أقوى منهم.

ففي هذه الظروف أصبح لدى المقاومين قناعة أنه لا يمكن الرجوع خطوة واحدة للخلف، بل الكل بدأ يسعى ويعمل جاهدًا للنيل من العدو وهذا بمباركة الأهالي، وعندما حصلت العمليات الاستشهادية وخرجت من المخيم بدأت تأتي إلى المخيم الصحافة وتعقد لقاءات كثيرة مع المقاومين والأهالي.

محاولات تطوير الوسائل القتالية:

بالإضافة إلى العمل الاستشهادي تم صناعة الهاون والحصول على سلاح من نوع 300، واعتبر العدو هذا العمل خطيرًا ويجب القضاء عليه، فبدأت الاغتيالات في محافظة جنين لكل من ينتسب إلى هذه المجموعات التي تقوم بالصناعة، فعلى الرغم من أنّه محذور على الإخوة المطاردين ركوب السيارات إلا أنه كان يحدث تجاوزات وأخطاء، وكان أحد الإخوة يساعد في تصنيع الهاون تم قصفه وهو داخل السيارة وهو الشهيد معتصم الصباغ، وكان الرد مباشرة بقذائف الهاون على المستوطنة القريبة من الحارة الشرقية في مدينة جنين، وتزامن مع قصف الشهيد معتصم إطلاق صاروخ

على الورشة التي كنت أصنع بها الهاون، لكن قدرة الله حالت دون وقوعه على الورشة، فبعدما رأى الجيران أن الصاروخ قريب من الورشة حضروا عندي، وقالوا لي نحن وأولادنا فداء للمقاومة، والحارة مليئة بالأولاد فإن لم يموتوا من الصاروخ فسوف يموتون من المتفجرات الموجودة في الورشة، بالإضافة إلى أن الحديد سيكون شظايا فلنترك أولادنا يكبرون لعلهم يفيدون المقاومة بعدما يكبرون.

وفعلًا تم ذلك، ونشأ جيل جديد من هؤلاء الأطفال منهم من استشهد ومنهم ما زال مطاردًا، فالمقاومة وجدت من أجل الحفاظ على الأهالي واسترداد حقوقهم لا أن تكون المقاومة عبئًا على الأهالي، فهذا أعطى الزخم والدعم للمقاومة عندما عرفوا أن المقاومة أيضًا حريصة على الجميع وتأخذ بأي انتقاد أو توجيهات لمصلحة المجموع.

وتم نقل الورشة والتصنيع إلى منطقة في مدينة جنين (الحي الشرقي) وبدأنا نعمل، وكان للأهالي الذين حولنا دور كبير في مراقبة ورصد المنطقة المحيطة بنا، فبعد اللقاء مع الـ BBC وتسجيل برنامج اسمه «الحرب البشعة» بفترة قصيرة، تقريبًا الأسبوع، جاءتنا إشارة من أحد البيوت أنّ هناك جنودًا يتسللون نحونا من بين الأشجار، فاتصلنا مع المطاردين وجاؤوا على الفور، وباغتنا القوة مما أدى إلى وقوع إصابات في صفوف الجنود وتم انسحابهم بتغطية من الطائرات، ونحن انسحبنا بالكامل، وقصفت الطائرة أحد السكان وهو سائق تراكتور اسمه وليد السعدي (أبو لؤي) كان يمر في المنطقة، وفيما بعد أخلينا الموقع، لقد شكّل الأهالي في أي مكان سواء في المخيم أو المدينة أو الحي حاضنةً وسندًا للمقاومة وكل واحد يقدم حسب استطاعته، ونقلنا الموقع إلى مكان آمن لنستكمل العمل.

وعلى أثر ذلك طلب الـD.C.O قائد المنطقة فايز عرفات، وأبلغوه أنّ الموقع مراد استهدافه أو اختطاف من يوجد بالموقع؛ لأنه يوجد مصنع متفجرات، ولهذا دخلنا إلى ذلك الحي، وفشلت المحاولة، وهذا بفضل الله عز وجل، ومن ثم الأهالي الذين كان لهم دور كبير جد لرصد المكان الذي كنا نتواجد فيه، وهذه عادة جميع الأهالي الحرص على حماية أي مطارد بأي طريقة متاحة.

قام الأهالي بفتح بيوتهم للمقاومين وتجلى ذلك عندما فتح بيته أبو العبد الزبيدي _والذي هو أصلًا منزل مجاهدين_ حيث كانت على رأس هذا الكم والجود أم العبد عليها رحمة الله، احتضنت جميع المطاردين في بيتها باعتبار أن جميع المطاردين أبناؤها، وتقدم كل ما يلزم لهم مع كبر سنها فقد كانت الأم الحنون على الجميع، وعند استشهادها فقدها الكثير من المطاردين، بل فقدها المخيم والمقاومة، ولحقها ابنها المجاهد طه الزبيدي عليه رحمة الله، فهذا البيت نموذج من النماذج التي كانت في المخيم الذين يتحلون بهذه المبادئ والشهامة، ومن ثم استشهد داود فيما بعد ليلحق بركب الشهداء، فهنيئًا لهذا العائلة المجاهدة وحقًا تستحق أن يقال لهم صبرًا آل الزبيدي فإنَّ موعدكم الجنة بإذن الله.

وهذا حصل بعدما قامت دبابات الاحتلال باقتحام مدينة جنين وأطراف المخيم ولعدم مقدرة الاحتلال دخول المخيم ضُربت بعض المواقع والبيوت بالمدفعية، ولاشك كان هناك خسائر في الممتلكات فقامت المقاومة مباشرة بعد انسحاب الدبابات بإصلاح كل ما أتلفه الاحتلال.

تـم تكثيـف العمليـات الاستشـهادية في الداخـل المحتـل، ومعظـم الاستشـهاديين مـن المخيـم، وللعلـم عندمـا يستشـهد أي مقـاوم يقـوم الأهـالي بتوزيـع الحلـوى ويكـون فخـرًا لهـم ويعتـزون بـه، وهـذا أدى إلى اجتياحـات في كل مـرة تقـوم بهـا المقاومـة بعمليـات، وكان العـدو يتربـص بالمطارديـن أينـما وجـدوا، ولكثافـة السـكان في المخيـم كان معظـم المطارديـن في قلـب المخيـم، ويصعـب عـلى العـدو رصـد المطـارد، وكان التهديـد بالاجتيـاح وعـلى الرغـم مـن أن التهديـدات والخسـائر التـي كان يخسرهـا الأهـالي إلا أنهم كانـوا يشـكلون للمقاومـة الحمايـة والـدرع لهـا.

تميز الأهالي:

مـن الجديـر بالذكـر أن الأهـالي كانـوا لا يفرقـون بـين المطارديـن سـواء كانـوا مـن المخيـم أو مـن غـيره، وهـذا ناتـج عـن الثقـة التـي كانـت بـين المقاومـة والأهـالي، فنجـاح المقاومـة واحتضـان الأهـل لهـا تجلى مـن خـلال الاجتياحـات، فعندمـا يقـع أي ضرر في أي بيـت مبـاشرة وبعـد انسـحاب العـدو نقـوم بإصلاح كل مـا ضرر ولا نكتفـي بذلـك، بـل كل منـزل يجـب أن يصلـه طـرد لكـي نعوضـه عـن الخسـائر. فهـذا جعـل الثقـة تـزداد بـين الأهـالي والمقاومـين حيـث إنهـم شـكلوا حصنًـا حصينًـا، وقضيـة مهمـة أن معظـم الشـباب كانـوا لا يجـدون عمـلًا فكانـت المقاومـة تغطـي مصاريـف الشـباب وتعيـل الأسر المسـتورة.

رغـم المعانـاة كان هنـاك نسـاء مـن المخيـم وخـارج المخيـم يتبرعـن بالذهـب الخـاص بهـن ليكـون لهـن شرف المشـاركة في عمليـة استشـهادية.

الصحافة والمقاومة، الجزيرة في المقدمة:

على الرغم من كل ما كان يحدث كان لابد من وجود صحافة لتغطية الأحداث من جميع القنوات، لكن الحق يقال كانت تربطنا علاقة متينة بقناة الجزيرة؛ لأننا كنا نرى أنّها واقعية ومنصفة ولها مصداقية عند الجميع، وعندما كنا نصور ونريد بث وصية استشهادي نرسلها للجزيرة عبر المراسل علي السمودي، وهنا استشهد بحادثة حصلت عندنا، عندما جاء طاقم الجزيرة وعلى رأسهم الأستاذ وليد العمري والذي أحضرهم الصحفي علي السمودي لتغطية اشتباك مباشر فتم الموافقة على طلبهم، وذهبنا كمقاومين إلى مركز وجود الدبابات في المستوطنة الموجودة في حرش السعادة، ولوجود قطعة سلاح من نوع 300 كان الاحتلال يحسب لها حسابًا (لأنها في أحد الاجتياحات كادت أن تصيب طائرة أباتشي وهذه الحادثة الجميع رأى المنظر كيف الطائرة مباشرة ارتفعت وانسحبت)، مع العلم تم طلب هذه القطعة مني شخصيًا من قبل الـ D.C.O. بواسطة مدير مخابرات جنين إبراهيم خضر (أبو أحمد) ورفضت ذلك، وقلت له: «على جثتي تأخذون هذه القطعة». المهم وضعنا طاقم الصحافة في مكان بعيد عن الاشتباك المباشر بحيث يستطيعون التصوير ـ أي المنطقة مكشوفة ـ، وتم الاشتباك الحقيقي ولعدم رؤيتنا من قبل الاحتلال تعمدوا ضرب قذيفة على طاقم الصحافة، وتم إصابة الصحفي علي السمودي والمصور ابن شوقي الدحلة، ونذكر أنَّ الأستاذ وليد العمري قال لبعض الشباب هذا مش معقول، وفي أثناء الاشتباك أيضًا استشهد المجاهدان إياد

المصري وإبراهيم الفايد وفَقَد المجاهد علي عويس عينه إثر شظية، وتم إصابة بعض الجنود لوجودهم خارج الدبابات.

عندما تم نشر هذه الفيديوهات أصبحت القنوات تتنافس، ونحن كنا نتعامل مع الجزيرة فقط للأسباب المذكورة آنفًا، وهذا قوّى العلاقة بين المقاومة والصحافة حتى في إحدى المرات جاءت صحافة الـ B.B.C وأنتجوا برنامجًا كاملًا عن المخيم والمطاردين وتم بثه تحت عنوان «الحرب البشعة»، لكننا كمقاومين كنا نحرص كل الحرص على أن تكون الصحافية في مكان آمن؛ لأننا نعلم أن الاحتلال يستهدف حتى الصحافة وقدّر أن تستهدف الصحفية شيرين أبو عاقلة في نفس المكان الذي تم قصف صحافة الجزيرة في المرة الأولى، ولابد من شرح الموقف الذي تم استهداف الصحافة متعمدًا في الاشتباك حيث كنا مشكلين المجموعات على شكل مثلث، يعنى الاشتباك مباشر مع الدبابات والجند من بين بيارات البرتقال القريبة من حرش السعادة، فهذه الزاوية لا يمكن أن يرانا أحد فيها، وفي الزاوية الأخرى مدارس الوكالة، وكان هناك مجموعة لتغطيتنا حين الانسحاب، فقُصف سور المدرسة واستشهد المجاهدان إياد المصري وإبراهيم الفايد ووقعت بعض الإصابات، أما المجموعة الثالثة التي تشكل الزاوية الأخيرة وهي قريبة من المقبرة حيث إنهم مكشوفون للجميع وعلى مرأى الكل، والكل يعرف أنهم صحافة أيضًا تم قصفهم متعمدًا.

وهذا رسم لتوضيح المسألة.

فبعد أن عجز الاحتلال عن القضاء أو الإيقاع بالمطاردين لجأ إلى إرسال سيارة مفخخة للشهيدين مجدي الطيب وعكرمة استيتي، ولأول مرة يتم استهداف مطاردين داخل المخيم من خلال السيارة، وهنا رأى الأهالي المنظر البشع، وحصلت مسيرة في المخيم تطلب انتقامًا للشهداء بعملية استشهادية وتم ذلك بتنفيذ عملية استشهادية مشتركة بين حركتي الجهاد الإسلامي وفتح في العفولة وبطلاها عبد الكريم أبو ناعسة ومصطفى أبو سرية بتاريخ 27/ 11/ 2001م، وهما من مخيم جنين ويعملان في أحد الأجهزة الأمنية، فكان ردة فعل عند الأهالي أنهم استقبلوا الخبر بكل روح إيمانية وحتى وصل الأمر أن بعضًا من الشباب في المخيم أخذوا في البكاء حسرة لعدم مشاركتهم في هذه العمليات الاستشهادية.

حاول أحد ضباط الأجهزة الأمنية المسؤول عن الاستشهاديين عبد الكريم ومصطفى خلق فتنة في المخيم بين الأهالي، لكن بوعي الأهالي تجاوزوا هذه الفتنة، فبسبب عمل الاستشهاديين في أحد الأجهزة الأمنية قامت السلطة بتشكيل مجموعة من جميع الأجهزة الأمنية للدخول إلى المخيم واعتقال المطاردين، فتصدى لهم الأهالي وضربوهم، وبدأ بعض من أفراد الأجهزة الأمنية يتوسلون للأهالي بعدم ضربهم وتدخلنا كمطاردين وأخرجناهم من المخيم شرط ألا يعودوا مرة أخرى مهما حصل، وإذا تكرر ذلك سيتم أخذ أسلحتهم وحرق سياراتهم، وهذا العمل قام به الأهالي فلو لم يكن هناك ثقة بين الأهالي والمقاومين لكان تم تسليمنا للسلطة، لكن الأهالي والمقاومين هم الدرع الحامي للمقاومة.

جنّ جنون العدو على أثر ما حصل في المخيم فأطلق شارون لقب عش الدبابير على المخيم، وعلقت أم محمد أبو سرية على هذا الموقف: «إن شاء الله سوف تلدغك يا شارون هذه الدبابير إن أقدمت عليها».

على أثر هذه المواقف المذكورة كَثُر عدد المراسلين والقنوات ومن ضمن هذه القنوات «الجزيرة» حيث أحضر أحد الإخوة الصحافية شيرين أبو عاقلة عندنا فاستقبلها الأهالي بتوصية منا، وبدأت تدخل على أي منزل تريده وتصور وتعمل لقاءات، والكل كان يتعامل معها وكأنها ابنة المخيم حيث إنها تتحلى بأخلاق عالية وخجول بالإضافة إلى أنَّها عاطفية، وكان لها حضور كبير في أوساط الناس.

كانت تسارع لتسجيل كل حدث في المخيم من اجتياحات، ففي إحدى المرات بعد اجتياح للمخيم جاءت وعملت لقاءً مصورًا معي شخصيًا ومع المطاردين منهم من كان ملثمًا، ومنهم من كان مكشوف الوجه، وتم تصوير اللقاء والاستفسار عن قضايا كثيرة كنا نطلعها عليها.

أصبحت شيرين تربطها علاقة عشق مع تراب المخيم، ولم تكن تفارقه في أي شكل من الأشكال، ولعشقها للمخيم وتراب المخيم ذهبت للقاء ربها وهي تقبل تراب المخيم الذي ارتبطت به ما لا يقل عن عشرين عامًا، كيف لا وأنها شجرة نبتت في أرض المخيم الذي شاركته هموم أهاليه، وأن شيرين أكثر من فقدها هم أهالي المخيم؛ لأنها ابنتهم، وسيتم عمل تذكار لها مكان ارتقائها ويتم تسمية الشارع باسمها تخليدًا لروحها، هذا أقل شيء نقدمه لشيرين، وهذا من حبِّ الأهالي للمقاومة وكل من يساند ويرفع صوت المقاومة، فالمخيم تعرض لأكثر من خمسة اجتياحات صورتها شيرين، وساندت الأهالي وفضحت أعمال الاحتلال، ولم يستطع الاحتلال الوصول إلى الداخل فبقي على أطراف المخيم وهذا من كثرة كثافة الأهالي الذين نزلوا إلى الشوارع لحماية المقاومة.

في أحد الاجتياحات وحسب ما رواه الجيش الصهيوني عبر محطته أنهم يريدون قصف جيب أحمر لدى المقاومة ومعروف لديهم من يركب هذا الجيب، وأثناء محاصرة المخيم سيق الجيب الأحمر بطريقة معقدة إلى مدينة الخضيرة، وكان الاستشهاديان هما: يوسف السويطي ونضال الجبالي، ونفذت العملية بتاريخ 28/ 10/ 2001م،

وجنّ جنون العدو مما أدى إلى الانسحاب من أطراف المخيم وتحويل المسؤول عن الحملة للتحقيق؛ «كيف تقاعس المسئول عن قصف الجيب بينما شوهد الجيب في الخضيرة»، مع العلم أن الاستشهاديين من المخيم وهما من سرايا القدس؛ وللعلم أن أعمام وجميع أقرباء الشهيد يوسف السويطي ضباط في الأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية ولهم مكانة في الأجهزة الأمنية إلا أنهم استقبلوا الأمر بروح وطنية عالية مع أن الاستشهاديين أيضًا كانا ضمن الأجهزة الأمنية، وكان رد فعل الأهالي على ما سمعوه التكبير والتهليل والإشادة بالمقاومين، وهذا زاد من الالتحام حول المقاومة أكثر وأكثر.

اجتياح تمهيدي:

الاجتياح ما قبل الأخير بتاريخ 02/ 03/ 2002م كان قد هدد شارون بأنه إذا نفذت عملية استشهادية من المخيم سيقوم باجتياح المخيم، وفعلًا نفذت عملية في حيفا، وتم القبض على الاستشهادي من كتائب شهداء الأقصى، فما كان من الاحتلال إلى أن تجهز ودخل إلى أطراف المخيم، وكما ذكرت لتكاتف الأهالي واستعداد المقاومة من كل جانب لم يستطع دخول المخيم، وحصل أن تدخلت الأجهزة الأمنية لنخرج من المخيم كمقاومين لتدخل الدبابات وسط المخيم إلا أننا رفضنا، وكان الدعم من الأهالي أن لا يخرج أي مطارد من المخيم مهما كان، ففي هذا الاجتياح بدأ القصف للمخيم بالمدفعية لبعض المنازل ووضع القناصة الذين كانوا في الجابريات فوق المخيم، فأحضر الأهالي شوادر لكي نغطي المنطقة المكشوفة لكي لا يرى القناصة المطاردين.

بالإضافة إلى أن الأهالي فتحوا بيوتهم من أجل فتح ثغرات في الجدران لكي نتنقل من بيت إلى بيت دون أن يرانا القناصة، وعلى الرغم من كل هذا الحذر إلا أنه ارتقى شهداء كثر بالإضافة إلى بتر يد الشيخ جمال أبو الهيجا فبعد انتهاء الاجتياح تم لملمة الجراح وتم دفن الشهداء فخرجت مسيرة ضخمة من المخيم وطافت مدينة جنين، مطالبة بالعمل الاستشهادي مهما كلف الأمر حتى كانوا يهتفون بأسماء المطاردين من أمثالي وأمثال محمود طوالبة وثابت مرداوي لتنفيذ عمليات توجع العدو، وبعد انتهاء المسيرة تم دراسة مطلب الأهالي حيث إن شارون أكد وهدد مرة أخرى اذا حصلت أي عملية سيجتاح المخيم، لكننا كمقاومين لم نأبه لهذا التهديد، فقررنا تنفيذ عملية استشهادية، وفعلًا تم ذلك ونزل الاستشهادي رأفت أبو دياك من سرايا القدس وقتل 7 مستوطنين غير الجرحى داخل باص في وادي عارة بتاريخ 20/ 03/ 2002م.

حسب ما روته شابة فلسطينية حيث إن الشهيد رأفت عندما رأى فتاة لابسة حجابًا قال لها: لا تركبي يا أختي في الباص، وفعلًا لم تركب وخلال لحظات انفجر الباص، يا الله أي أخلاق يتمتع به هؤلاء الشهداء! فهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على التربية الحقيقية والأخلاق الحميدة التي دائمًا وفي أي وقت يدافعون ويحمون أبناء شعبهم. وعندما علم الأهالي بذلك فرحوا وزادت الثقة بينهم وبين المقاومة أكثر.

على أثر ذلك تجهز العدو ليجتاح المخيم مرة أخرى، وبدأ الاستعداد من جديد، وهذه المرة شارك الأهالي بشكل فعال حيث إنهم فتحوا جميع بيوتهم، وطلبوا منا أن نفعل ما نشاء في البيوت سواء كان تفخيخًا أو أي شيء يخدم المقاومة.

الاجتياح الكبير:

قبل الاجتياح جاء لنا أكثر من وفد من قبل السلطة الفلسطينية من أمثال زيد الكيلاني وعزام الأحمد وصائب عريقات وغيرهم أيضًا كانوا يتصلون عبر الهاتف بأن يتم تسليمهم 5 مطاردين ولن يدخل العدو المخيم، فتم دراسة خيار أمامنا أن نرسل أربعة مطاردين في عملية استشهادية؛ اثنان في العفولة واثنان في حيفا وتم مباركة هذا العمل من قبل الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور رمضان شلح بعدما شرحت له الأمر حيث إن الاحتلال يدخل المخيم ويجد المطاردين في فلسطين المحتلة كما حصل مع الشهيدين يوسف ونضال، لكن عندما علم الأهالي بذلك رفضوا وخرجوا إلى الشوارع يطالبون منا أن لا نفعل أي شيء خارج المخيم، وقالوا: «ابقوا هنا وشو بيصير علينا بصير عليكم». عندها قررنا أن نلغي الاتفاق ونبقى في المخيم مع أنه أكد لنا الوسطاء المذكورون آنفًا أن هذا الاجتياح ليس مثل الاجتياحات السابقة وأنه سيكون اقتحامًا إلى داخل المخيم مهما كلف الأمر، فعندما علمنا أن الأمر أصبح جديًا وتمركزت الدبابات حول مدينة جنين والمخيم، جلسنا _جميع التنظيمات_ وتشاورنا على آلية المواجهة وترتيب المجموعات، وفعلًا تم ذلك وبمباركة ودعم من الأهالي، وقلنا للأهالي والمقاومين إن هذا الاجتياح ليس بالنزهة فمن أراد أن يبقى فأهلًا وسهلًا ومن أراد الخروج من المخيم فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، مع كل الاحترام والتقدير للجميع فقليل من خرج، وبقي المطاردون الخمسة وهم أنا وأبو جندل

ومحمود الحلوة وثابت مرداوي ومحمود طوالبة والأهالي يدعموننا، بحيث إنهم فتحوا البيوت للجميع، فكما يعلم الجميع عندما يكون المقاومون بالشوارع والحارات والأزقة يقوم الأهالي بتوزيع الشاي والقهوة والأكل ويتسامرون مع المقاومون، ومن البيوت التي أخذت على عاتقها أن تخبز وتطهو، ومن هؤلاء النساء الفاضلات المرحومة الشهيدة مريم الوشاحي (أم مروان) حيث كانت تعد لنا الطعام وتعرف أنّ ابنها قد استشهد في وسط المخيم ولم تتمكن من رؤيته، فهنيئًا لهم الملتقى مع الأحبة والأنبياء في جنة الخلد مع أن هناك من الأهالي خارج المخيم من كانوا يمدوننا بالأكل والشرب أيضًا.

الاحتلال يتغول:

في 30/ 03/ 2002م بدأت قوات الاحتلال تتقدم نحو المخيم وتمركزت في محيطه، وكانت رشقات المقاومين تزخ عليهم حيث إنهم لم يستطيعوا الدخول إلى المخيم، فاستعملوا الطائرات وتم قصف بعض المواقع، وتم تمركز المقاومين داخل أزقة المخيم، وكانت المعارك يوميًا على أشدها فبعد استشهاد القائد محمود طوالبة ونزوح كثير من الأهالي بعد القصف المستمر كان لابد للإخوة الذين خارج المخيم أن يساندونا في عملية استشهادية لتخفيف الضغط علينا، وفعلًا نفذت بتاريخ 08/ 04/ 2002م عملية استشهادية قام بها الشهيد راغب جرادات في الياجور وقتل 8 جنود صهاينة في أحد الباصات، فجنّ جنون شارون وموفاز وغيرهما ممن كانوا يشرفون على اجتياح المخيم في حرش السعادة، وحاول جيش الاحتلال

التسلل من حارة الحواشين إلا أنه وبفضل الله ومن ثم فضل الأهالي نبهونا أن الجيش يتقدم، وتم عمل كمين لهم وسقط 13 جنديًا صهيونيًا، وعندما تم حجز أربع جثث حصل اشتباك لا يقل عن 8 ساعات لأخذ الجثث مع أنهم طلبوا وقف إطلاق النار لسحب الجثث إلا أننا ربطنا الجثث بانسحاب الجيش من أطراف المخيم، فرفض الجيش ذلك واستمر الاشتباك، وتدخلت الطائرات، وخوفًا على المقاومين تم انسحابنا إلى داخل المخيم الأكثر أمنًا، ولم يكتفِ العدو بذلك فأرسل لنا كلبًا عليه جهاز لتحديد مكاننا، فما كان من أشرف السعدي إلا أن أطلق النار عليه وأرداه قتيلًا، وبعد ذلك تم جمع المعدات والأسلحة والذخائر وميداليات وأسماء الجنود مع المقاومين، وانتقلنا إلى بيت من البيوت ليكون أكثر أمانًا من المكان الذي كنا فيه، وبعد هذا الاشتباك بقيت الطائرات الأربع تقصف المكان الذي قتل فيه الكلب إلى غاية الفجر، وكانت تلك الليلة مشهورة لدى الأهالي الذين خرجوا من المخيم مع العلم أن المخيم لم يبقَ فيه إلا القليل من المقاومين لا يتجاوز عددهم 30 مقاومًا، فالأهل كما سمعنا كانوا طوال الليل يدعون للمقاومين وقلقين على حياتهم.

صورة بطولية:

في آخر يوم 11/ 04/ 2002 حوصر المقاومون في منطقة لا تتجاوز الـ 100 متر مربع، وكانت النية أن يتم دفننا أحياء، فناشدنا جميع المؤسسات بما في ذلك الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان إلا أن الاحتلال لم يستجب لهذه النداءات، وعندما طرح السيد حسن نصر الله الأمين العام

لحزب الله مبادرة لفتح ملف الأسرى الجنود لديه تم وقف عمل الجرافات، وتمت المفاوضات كيف يتم خروجنا، وأثناء المفاوضات بقي معنا قليل من شحن البطارية للهاتف المحمول، وتم الاتصال مع الدكتور رمضان شلّح، وطلب مني ومن المجاهد ثابت المرداوي أن نسلم أنفسنا، وقال خسرتم جولة ولم تخسروا المعركة ورفع من معنويتنا، وبعد انتهاء المكالمة تكلم المناضل جمال حويل مع قناة الجزيرة التي كانت مواكبة للأحداث وما يحصل في المخيم، وكان على خط الجزيرة الأستاذ وليد العمري، فقال له المناضل جمال حويل على الهواء مباشرة مطالبًا العالم أن يقرؤوا على أراوحنا الفاتحة؛ لأن الجرافات والاحتلال تود دفننا أحياء، وبعد تدخل السيد حسن نصر الله وتقديم مبادرته تم وقف عمل الجرافات، ولم يبق في المخيم سوانا فسلمنا أنفسنا، فلأول مرة نرى المخيم مدمرًا من الخارج ونحن خارجون منه حيث إنه كان يفوح منه رائحة الموت.

القيود في المعاصم:

تم إلقاء القبض علينا، وبعد خروجنا من التحقيق كان لدينا في السجون أجهزة للتواصل مع الأهل، فتم التواصل مع كثير من الأهالي، وجميع من تواصلت معهم كانوا يقولون لا يهمنا الدمار فالشهداء عليهم رحمة الله، فنحن نريدكم خارج السجون لتعمّروا المخيم. فكان هذا الموقف وهذه المعركة فخرًا وعزة لأهالي المخيم، وطُرِح على أهالي المخيم أن يتم بناء حي للبيوت التي دمرت ويطلقون عليه اسم الحي الغربي، فرفض الأهالي هذا العرض، وطلبوا إذا تم البناء غرب المخيم فسيكون اسمه

المخيم الغربي وليس الحي الغربي، وهذا بالإجماع من أهالي المخيم؛ لأن المسألة سياسية تتعلق بإنهاء ما اسمه المخيمات والقضاء على اسم لاجئ.

هذا الوعي الذي تحلى به الأهالي نابع من فهمهم للمقاومة والحفاظ على اسم المخيم، ولابد من الرجوع إلى بلداتهم الأصلية في فلسطين المحتلة، وتم بناء المخيم من قبل دولة الإمارات وعلى مخطط تم الموافقة عليه من قبل الاحتلال حيث تم إنهاء الزقاق، وعندما سكن الأهالي المخيم بعد فترة بدأ كل بيت يعمل بسطة صغيرة أمام باب المنزل، وفيما بعد عاد المخيم كما كان يوجد به أزقة (يعني كل بيت زحف مترًا أمام منزله لتعود الأزقة كما كانت).

مقاومة على مزاجهم:

استمرت المقاومة وليس بالشكل الذي كانت عليه ما قبل 2002م حيث إن الاحتلال بدأ يعمل مع جهات أخرى لتفريغ الجيل الناشئ من محتواه الوطني، فهيأ للشباب أشخاصًا من خارج المخيم لكي يعلموهم ما يسمى بالفن، ولكون هذا الأسلوب غريبًا عن الأهالي لم يتم استيعابه خاصة أنهم علموا أن هذه الخطة تريد إفراغ الشباب من الوطنية والاتجاه إلى طريق آخر كما وصفه الجميع بأن هذا العمل من ضمن خطة دايتون، فحصل تذمر من الأهالي حول هذه المسألة، وهذا تجلى من خلال تصريح لبعض الأمهات حيث قلن: «إن أبناءنا كانوا يقاومون ويحملون السلاح والآن أصبحوا يعوون مثل الكلاب شو هالفن المسخرة؟!»، فبعد هذا التصريح من الأمهات بدأت الصحوة لدى الشباب للحفاظ على إرث المقاومة والحفاظ عليه.

واستمرت المقاومة في المخيم وكثّف الاحتلال من وجود قوات خاصة لاصطياد المطاردين وخلال هذه السنوات الـ 15 التي مرّ بها الشباب وبعض التوجيهات استطاعوا أن يعالجوا بعض الأخطاء، وشكلوا جسمًا موحدًا لمواجهة الاحتلال، وهذا تجلى في المواجهات الأخيرة.

الإشاعات الكاذبة:

الإشاعات والأقاويل التي قيلت بالنسبة للأخطاء التي كانت تحصل من قبل الشباب ما يسمى بالجاسوس، أنا أجزم بل على يقين وعلى إطلاع أن نسبة الجاسوسية وبدون مبالغة نسبة لا تذكر، والسبب في ذلك أن كل بيت في المخيم يوجد به إما شهيد أو شهيدان أو جريح أو أسير عدا أن هذه التهمة لا تليق بالأهل مهما كان، ويصبح منبوذًا من أهله أولًا ومن الناس الذين حوله ثانيًا، فأنا أعرف بعض من تورطوا بأشياء بسيطة مع العدو وأبدوا تراجعهم واشتغلوا مع المقاومة وأبلوا بلاءً حسنًا ومنهم من استشهد، وهذا على صعيد الأيام العادية للمقاومة، ولاشك كان هناك من يقطع أسلاك العبوات، ولكن كان هذا العمل نتيجة الجهل وتم معالجة الأمر.

أما الإشاعات التي حصلت أثناء الاجتياح مثل أن هناك جواسيس يضعون إشارات فسفور على بعض المنازل لتحديد المقاومين، فهذا عارٍ عن الصحة؛ لأن المقاومة ليس لهم بيت معين، فمن الناحية المنطقية عندما ينزل صاروخ على أي مكان لا يفرق بين الناس وكل البيوت كانت مستهدفة حتى لو كان هناك جاسوس ورأى هول الصواريخ والحرائق التي كانت تحصل لما بقي لحظة واحدة ولو دفعوا له مال «قارون» ولو حتى قلبه

قلب أسد لما بقي في المخيم تحت القصف، لذلك أجزم أنه لم يكن أي جاسوس في داخل المخيم أثناء الاجتياح مع أننا في المخيم كما قلت سابقًا نعرف بعضنا بعضًا وقريبون من بعضنا ونعيش كأسرة واحدة والانتفاضة والاجتياحات وحدت جميع الأهالي أكثر من أي وقت مضى، وها هم الآن يشكلون حزامًا قويًا وسندًا قويًا للمقاومين ولقد صرح كثير من الأهالي أن ما يدمّر سيعمّر، المهم الحفاظ على الإنسان وكرامته فهذه الثقافة ما زالت موجودة وحاضرة عند الكبير والصغير.

المخيم التاج على الرؤوس:

أستشهد بمقولة قالها لي أحد الإخوة نقلًا عن الشيخ يوسف القرضاوي حيث سمعه يقول: «إن معركة المخيم وأهلها مثلهم كمثل أهل بدر»، فهنيئًا لهذا المخيم الذي لقّن العدو أشد الضربات وما زال.

إنّ دماءهم لن تذهب هدرًا، بل سيترعرع على هذه الدماء الزكية جيل ذو بأس شديد كما ترعرع من سبقونا إلى جنات الخلد.

كيف لا يكون الأهالي هكذا وهم الأنصار الذين ناصروا الضعيف، وتقاسموا العيش مع الفقير وحافظوا على شرف الأمة، ورفعوا رأس الأمة أيضًا؟ لأنهم يقاومون نيابةً عنهم في الوقت الذي بدأت الدول التي تدعي أنها عربية وإسلامية تهرول وبسرعة إلى التطبيع مع العدو الصهيوني. إنهم لا يعلمون أن أبناء المخيم وأهالي مخيم جنين مخيم الصمود بإرادتهم وصبرهم وعنفوانهم وعزيمتهم لقنوا هذا العدو أشد الضربات والدروس والعبر في المقاومة.

صهيوني يعترف:

وهنا أستشهد بمقولة قالها لي جنرال صهيوني أثناء التحقيق: «أنتم شديدون وعنيدون لم نتوقع هذا منكم، فإن القوة التي أدخلناها هذا المخيم الصغير، وصمد كل هذه الفترة، فإننا نستطيع بأن نحتل بها عمان بساعتين وبدون خسائر».

لقد وثّق العدو وتعامل مع معركة المخيم بأنها حرب قامت بها ما يسمى «دولة إسرائيل» مثلها كمثل أي حرب خاضتها مع الدول العربية، ولم يحاكموا أي شخص على القتلى الذين ارتقوا في المعركة، بل تمت محاكمتنا على العمليات التي قمنا بها قبل اجتياح أبريل (نيسان) 2002م.

الخاتمة

إن تلاحم المقاومة مع أهلنا في المخيم غذى لديهم الأمل والتحرير ولاسيما مع تصاعد أعمال المقاومة. لقد عاش أهالي المخيم على أمل الرجوع إلى أراضيهم المحتلة عام 1948م، ومازالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم، وترسخت لديهم فكرة أنه لا يمكن الرجوع والعودة إلى أراضيهم إلا بالمقاومة، وحملوا شعارًا (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة)، و(الرطل بدو رطل ووقية كما يقول المثل)، لهذا كانوا متعطشين للعمل المقاوم، وأصبحت تربط الأهالي بالمقاومة علاقة متينة حيث إنها وجدت فيها أنه من الممكن أن تسترد جزءًا من الحقوق المسلوبة خاصة أنهم عاصروا كيف تم الانسحاب من مستوطنتي «قديم» و»جنات»[2] والمستوطنات الموجودة في غزة هاشم واستردها الأهالي، فوجد الأهالي إن لم تستطع دحر الاحتلال في الوقت الحاضر فإنها ستحافظ على كرامة الأهل والأمة معًا، كما أن الأهالي أصبح لديهم قناعة أن المقاومة وجدت لحمايتهم والحفاظ على كرامتهم، لهذا تلاحموا وتحلقوا حولها وساعدوها بكل ما تحتاجه من بيوت ومال ورجال لتبقى مستمرة وتحقق لهم انتصارات وتوجع العدو؛ لأن العلاقة التي تربطهم أصبحت أغلى وأعز ما يملك الإنسان وهي العيش بكرامة، وهذا نابع من فهم الأهالي للمقاومة خاصة أنه أصبح

(2) مستوطنتا «جنات» و«قديم» كانا فيهما مستوطنون، وبعد الاستهداف المستمر تم إخلاؤهما، واليوم واحدة بها مدينة ملاهٍ اسمها قرية حداد والثانية حرش السعادة يوجد به مبنى للسلطة.

الانتصار وإيقاع الخسائر بالعدو إرثًا يتوارثه الأبناء لاستمرارية المقاومة، فلولا تعاون الأهالي واحتضان المقاومة لما نجحت بالاستمرارية، فكان من الضروري أن يستفيد منها جميع القرى والمدن والمخيمات في الضفة، وذلك من أجل تقصير عمر الاحتلال، فالدم يحيي الدم خاصة أن معاناة مخيم جنين يعيشها كل أبناء الشعب الفلسطيني، والإمكانيات والقدرات متوفرة لدى الجميع، لكن الإرادة والنية الحقيقية هي التي تجعل المناطق أن تحذو حذو أبناء المخيم خاصة أن تجربتهم ناجحة وتؤتي ثمارها.

«إن إرث المعارك والتجربة المخضبة بالدم ملك للشعب الفلسطيني كافة ولكل الأمة العربية والإسلامية».

وأخيرًا إما لقاء في الأرض مع الأهالي والأحبة، وإما لقاء في السماء مع الأحبة والشهداء والأنبياء.

(إن أشرطة الفيديو التي تم توثيقها من قبل الجزيرة والتي صورتها المقاومة جميعها كانت موجودة في المقر التابع للجزيرة في رام الله، وفي إحدى السنوات تم مداهمة مقر الجزيرة من قبل الأجهزة الأمنية وخاصة جهاز الأمن الوقائي، وصادروا جميع الوثائق التي تخص المقاومة وحرقوا المقر. ولدينا قصص كثيرة تخص الأجهزة الأمنية وكيف كان تعاملها مع المقاومة، ولكن لحساسية الموضوع لا أستطيع التوضيح أكثر من ذلك؛ لأن الجميع يعرف ما كان يحصل، ولا أريد في هذه الكتابة أن أشرح بوضوح مع الدلائل، وذلك لعدم خلق فتنة؛ لأن الشعب الفلسطيني ليس بحاجة إلى مشاكل تثقل كاهله).

ملاحق توثيقية

بئر الماء وبيادر قرية صفورية المُهَجَّرة عام 1930م

الأسير القائـــــــد/ علي السعدي
برفقة طفله قبل اعتقاله (أرشيف الأسرة)

الأسير القائـــــــــد/ علي السعدي
برفقة مجموعة من قادة معركة مخيم جنين

الأسير القائـــــــــــــد/ علي السعدي
خلال مشواره الجهادي بمخيم جنين

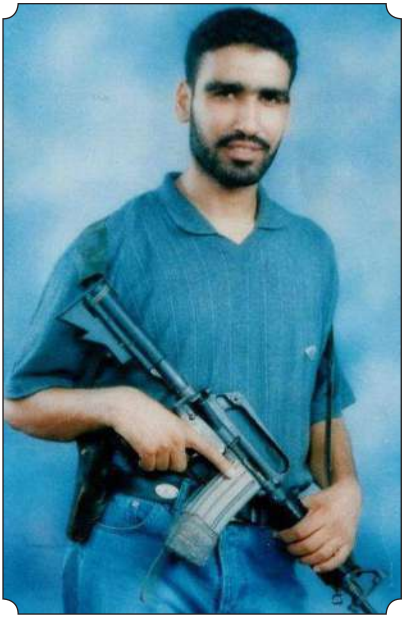

الشهيد القائد/ محمود طوالبة
قائد ملحمة مخيم جنين (نيسان 2002م)

الاستشهادي/ محمد نصر
استشهد بتاريخ 12/ 08/ 2001م

الأسير القائـــــــــد/ علي السعدي (وسط)
برفقة الأسير القائد/ ثابت مرداوي والشهيد المجاهد/ محمد ياسين

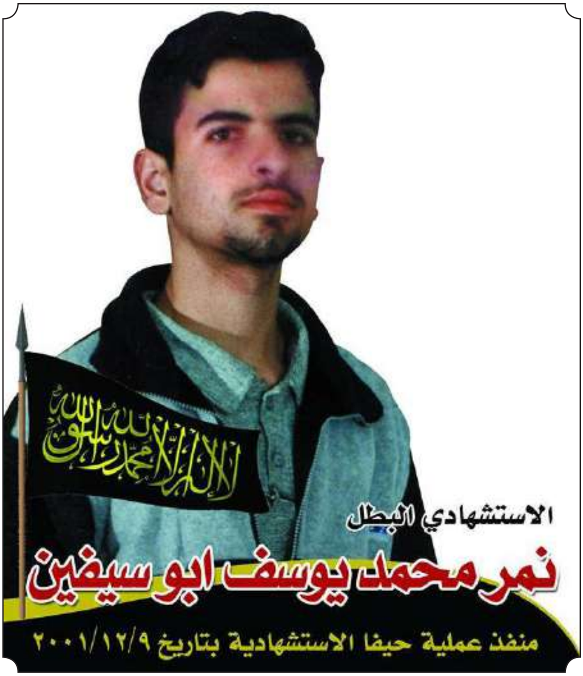
لا إله إلا الله محمد رسول الله
الاستشهادي البطل
نمر محمد يوسف ابو سيفين
منفذ عملية حيفا الاستشهادية بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٩

بسم الله الرحمن الرحيم
(قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)
تزف "كتائب شهداء الأقصى" الجناح العسكري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"
و "سرايا القدس" الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الاستشهاديين البطلين
ابن سرايا القدس
مصطفى فيصل ابو سريه
ابن كتائب شهداء الأقصى
عبد الكريم عمر ابو ناعسه
منفذا عملية العفوله الاستشهادية يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠١/١١/٢٧

العشاء الأخير لمجموعة من أبطال معركة مخيم جنين
(نيسان 2002م)

صور الجنود الصهاينة القتلى وعددهم (13)
في الكمين البطولي للمجاهدين بالمخيم

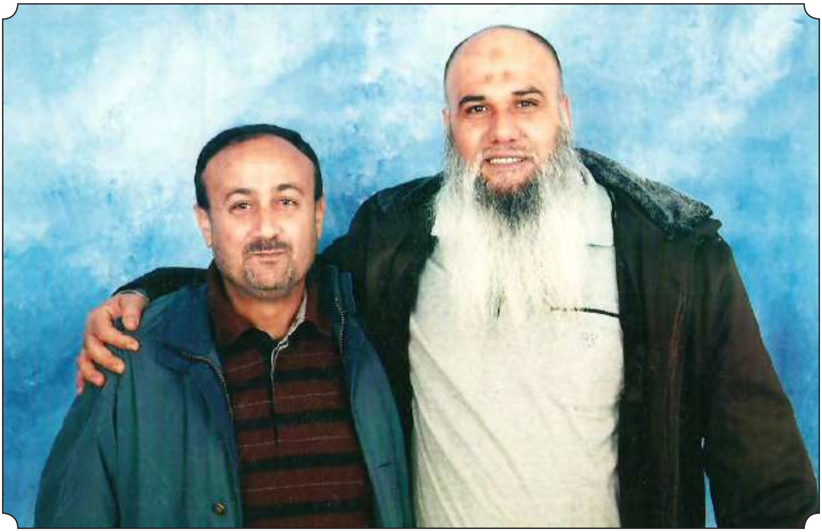

الأسير القائـــــــــــد/ علي السعدي (يمين)
وبجانبه الأسير القائد/ مروان البرغوثي (سجن هداريم)

الأسير القائـــــــد/ علي السعدي
برفقة والدته المرحومة خلال زيارتها له في السجن

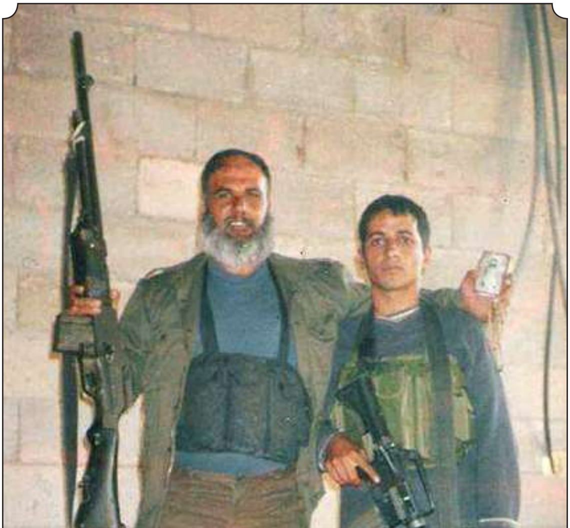

الأسير القائـــــــد/ علي السعدي
وعلى يساره الشهيد المجاهد/ فؤاد بشارات

الشهيد القائد/ إياد حردان
استشهد اغتيالاً بتاريخ 05/ 04/ 2001م

الشهيد المجاهد/ أسامة نغنغية
استشهد بتاريخ 04/ 03/ 2001م

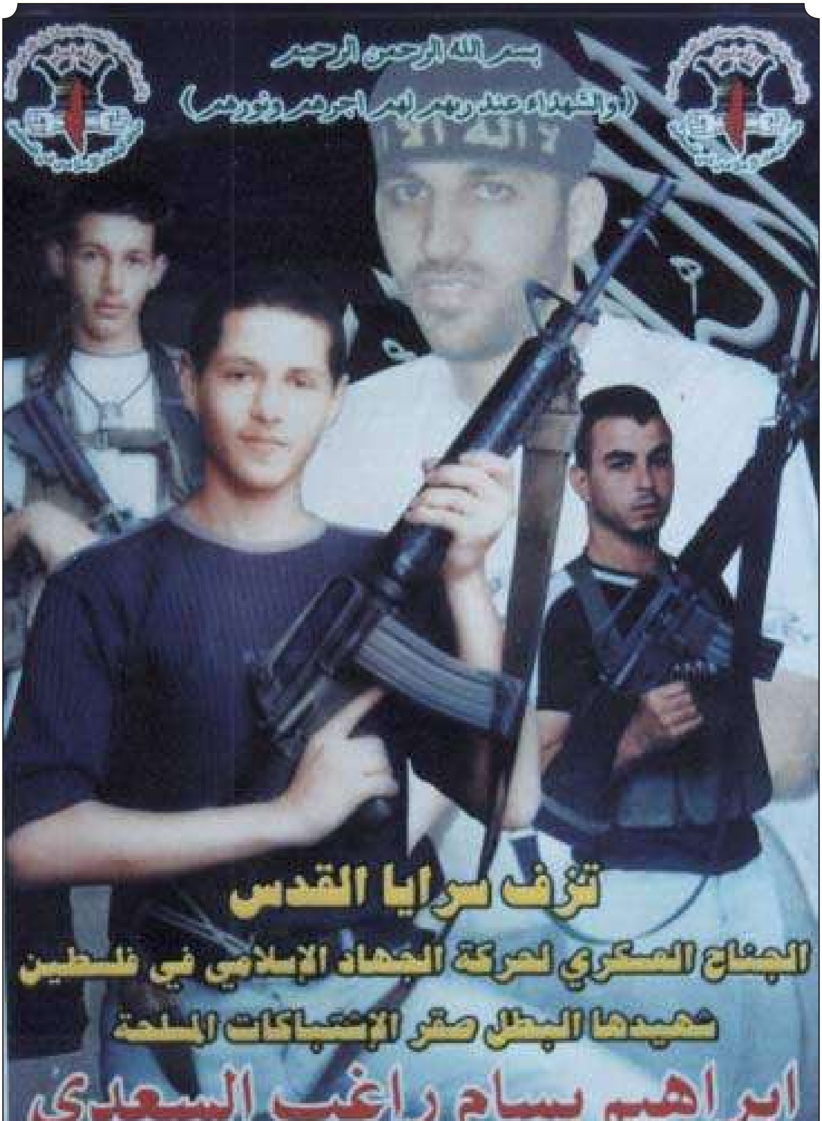
بسم الله الرحمن الرحيم
(والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)
تزف سرايا القدس
الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين
شهيدها البطل صقر الإشتباكات المسلحة
ابراهيم بسام راغب السعدي
الذي استشهد في اشتباك مسلح مع القوات الصهيونية بتاريخ ١١/١١/٢٠٠٢

الاستشهادي/ راغب جرادات
استشهد بتاريخ 10/ 04/ 2002م

الشهيد القائد/ رياض بدير
استشهد بتاريخ 11/ 04/ 2002م

الأسيران القائدان/ ثابت مرداوي وعلي السعدي
لحظة الأسر في معركة مخيم جنين (نيسان 2002م)

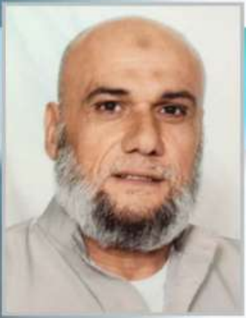

» تعريف بالكاتب الأسير

• الاسم: علي سليمان سعيد السعدي (الصفوري).

• مكان الإقامة: مخيم جنين – محافظة جنين.

• تاريخ الميلاد: 1963/01/12م.

• الحالة الاجتماعية: متزوج.

• عدد الأبناء: 5.

• الاعتقالات: 2.

• تاريخ الاعتقال الأخير : 2002/04/12م.

• الحكم: 5 مؤبدات و50 عاما.

الشهادات التعليمية:

• بكالوريوس تاريخ – جامعة الأقصى.

» في هذا الكتاب

إن تلاحم المقاومة مع أهلنا في مخيم جنين غذى لديهم الأمل والتحرير ولاسيما مع تصاعد أعمال المقاومة. لقد عاش أهالي مخيم جنين على أمل الرجوع إلى أراضيهم المحتلة عام 1948م، ومازالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم، وترسخت لديهم فكرة أنه لا يمكن الرجوع والعودة إلى أراضيهم إلا بالمقاومة، وحملوا شعارًا (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة)، و(الرطل بدو رطل ووقية كما يقول المثل)، لهذا كانوا متعطشين للعمل المقاوم، وأصبحت تربط الأهالي بالمقاومة علاقة متينة حيث إنها وجدت فيها أنه من الممكن أن تسترد جزءًا من الحقوق المسلوبة منه.

في هذا الكتاب يسرد الكاتب الأسير حكايته مع مخيم جنين كنموذج حاضن للمقاومة على مدار سنوات الصراع مع العدو الصهيوني، وهذا الاحتضان نابع من فهم الأهالي للمقاومة خاصة أنه أصبح الانتصار وإيقاع الخسائر بالعدو إرثا يتوارثه الأبناء لاستمرارية المقاومة، فلولا تعاون الأهالي واحتضان المقاومة لما نجحت بالاستمرارية.